علم الأمومة وعلم الأبوة وعلم الزوجية

للأستاذ عريان سعد

لقد فرغ العالم وفرغ الشرق من النقاش فى أمر تعليم البنت وأصبح الكلام فيه كأثبات البديهيات التى لا تحتاج الى الإثبات .

وانتقل العالم وانتقل الشرق الى النقاش فيما يجوز للبنت أن تتعلمه وما لا خير فى أن تتعلمه وقارب هذا النقاش أيضا الإنتهاء فى العالم وإن لم ينته بعد فى الشرق انتهى الى أن للبنت أن تتعلم كل شئ ودخلت المرأة كل سبل الحياة حتى الجندية الخطرة — جندية الطيران وقذف القنابل .

ونحن هنا لا يزال بيننا نقاش بل لا نزال نحول بين البنت وبين بعض الكليات .

أمر تعليم البنت إذن لم يعد فى حاجة الى القرارات توضع لتنفيذها ولكن الذى أريد أن أضعه أمام القارئ هو شئ جديد — علم جديد يجب أن تختص البنت بدراسته .

البنت تتعلم التاريخ والرياضة والجغرافيا واللغات وتدبير المنزل ومبادئ الصحة والحياكة وغيرها مما له صلة بالمنزل — وليس لى هنا شأن بما تدرسه البنت فى دور تعليم البنين إنما أنا أعرض لما تتعلمه البنت فى دور تعليم البنات تلك الدور التى تعد البنت لتكون أما وربة منزل .

تتعلم البنت كل ما يعدها لتشغل مكانا محترما فى المجتمع وكل ما يعدها لأن تكون ربة منزل تحسن إدارته وتقوم على سياسة الأسرة الداخلية أحسن قوامة تعنى بالثياب والصحة والنظافة وغيرها .

ولكن هل هذا كل ما فى الأسرة ؟

حين تصبح ربة المنزل أما تواجهها مشاكل أطفالها النفسية فهل تعلمت فى المدرسة ما تواجه به تلك المشاكل ؟

وقبل هذا حين تصبح البنت زوجة وتواجهها أزمات الخلاف مع زوجها هل تعلمت فى المدرسة ما يعدها لمواجهة تلك المشكلة وما يعينها على تخطى عقباتها بنجاح ؟

الجواب على كلا السؤالين مع الأسف بالنفى .

فليس فى برامج التعليم فى مدارس البنات تعليمهن شيئا عن نفسية الأطفال وما يصلح لكل طفل من أنواع الإرشاد لقد ثبت أن للوراثة فى تكوين شخصية الطفل أثرا بعيدا يربو على أثر البيئة وليست الوراثة قاصرة على ما يرثه الطفل من أبيه وأمه بل أنه يرث صفات من أجداده البعيدين ولهذا تجد الإخوة متباينين فى شخصياتهم لأن كلا منهم ورث من السلالة التى انحدر منها غير ما ورث أخوه فهذا أقرب لأبيه وهذا أقرب لجده أو لأبى جده وهكذا .

لذلك تجد الأم نفسها أمام أطفال مختلفين فى التأثر بما يحيط بهم من مؤثرات .

فلو أن الأم تعلمت فى المدرسة ما تواجه به مختلف الحالات النفسية التى تظهر على الأطفال لاستطاعت أن تنشئ الأطفال تنشئة صالحة مبنية على العلم لا أن تسير طبقا لمزاجها الشخصى إن كان مزاجا حادا نشأت أطفالها بالشدة والعنف والشدة والعنف يصلحان طفلا ويفسدان آخر وان كانت لينة العريكة ضعيفة الإرادة نشأت أطفالها على اللين والمهادة واللين والمهادة يصلحان طفلا ويفسدان آخر .

لو أن البنت تعلمت فى المدرسة علما لا تتعلمه البنات اليوم فى المدارس لأن البرامج خلو منه لأمكنها أن تسوس كل طفل بما يصلح له .

أسس هذا العلم أصبحت مقررة بما كشفه علم النفس وعلماؤه من خصائص النفس ومدى استجابتها لمختلف المؤثرات ولكن الذى لم يوجد حتى الآن هو الكتاب المدرسى الذى يجمع السهل من قواعد علم النفس بين دفتيه فتدرسه البنت كما تدرس الحساب والتاريخ ولك أن تحكم على أى العلوم أفضل علم التاريخ الذى يحدث البنت عن الحروب والغزوات وصلات الدول بعضها ببعض أم علم الأمومة الذى يرشدها إلى ما تقود به طفلها نحو الكمال أو ما يقرب من الكمال .

لو أن الإنسان راجع برامج التعليم وقد جرد نفسه من العادة أيشعر بأن هذه البرامج وضعت لبنت

هل من الخير للبنت أن تتعلم فى المدرسة مبادئ الكيمياء والطبيعة وحل العقد الحسابية — وأنا أسلم بأن هذه توسع أفق التفكير — أم خير لها أن تلقن طرق الملاج مشاكل الطفولة وعلل الأطفال النفسية وأن تدرس تلك العلل ومنشأها وهل هى مكتسبة أم موروثة إلى آخر ما وصل اليه علم النفس .

علم النفس أصبح اليوم علما يشمل نظريات ثابتة الصحة ولكن لم يؤخذ منه ما يصلح لأن يدرس فى مدارس البنات فى مختلف سنى الدراسة تبدأ بالسهل وتتدرج بالصعب كما أخذ للمدارس من علم التاريخ وعلوم اللغة والحساب والهندسة .

الذى أريده بهذه الكلمة أن يذكر المربون والقائمون على تعليم البنات — فى معاهد تعليم البنات خاصة — أن البرنامج الموضوع لهن الآن خلو من هذا العلم الذى تحتاج كل أم إلى معرفته والالمام به .

وإذا كانت مبادئ الطب تدرس للبنات لكى نستطيع الواحدة منهن العناية بجسم طفلها فأولى وأحق أن تتعلم البنت شيئا من علم النفس يرشدها إلى تنشئة طفلها تنشئة صالحة قد يقال أن امهاتنا قد استطعن أن يربين هذا الجيل ولم تكن لهن خبرة بعلم النفس وردى على هذا هو أنهن لم يتعلمن حتى ولا القراءة والكتابة فاذا رأينا ذلك نقصا تلافيناه بفتح المدارس للبنات فلتم إذن هذا النقص الإضافى باضافة علم النفس إلى برامج تعليم البنات .

لا أريد بعلم النفس هنا ما كان خاصا بالمسائل الاجتماعية العامة كبحث أسباب الجرائم أو غير ذلك انما أريد مشاكل الطفل وحدها دون غيرها على أن هذا العلم إن كان ضروريا للبنت بل حيويا لها فانه فى رأيى لازم للبنين فان تربية الأطفال والعناية بهم وأن وقع عبئها على الأم لأنها هى التى تلازم الأطفال فى البيت إلا أنها شركة بين الأم والأب ويجب أن يكون الأب ملما بالنظريات التى تطبقها الأم فى اصلاح عوج أطفالها وإلا اختلف معها وعارضها وهذا الخلاف وهذه المعارضة شر من جهل الأم بما يجب أخذ الأطفال به كأن الأطفال يتخذون من خلاف الأم والأب وسيلة للنجاة من العقوبة أو للظفر بشئ من التدليل بالالتجاء الى أحد الطرفين فى غفلة من الآخر أو يحل بهم من آثار هذا الخلاف شر لا يعرف مداه .

من الخير إذن أن يكون فى برامج التعليم للبنين شئ من هذا العلم وإن قل عما يجب تدريسه للبنت ولكن يكفى لأن يدرك الوالد أن تصرفات الأم مبنية على علم صحيح عرف هو بعض أصوله .

إن برامج التعليم كما هى تبدو كأنها وضعت لأولاد لن يتزوجوا ولن يصبحوا آباء إنها تعد الولد لأن يكون رجلا نافعا فى الهيئة الاجتماعية يؤدى فيها عملا إما كمحام أو مهندس أو طبيب أو عامل فى أحد المصانع ولكنها لا تعد أحد من هؤلاء ليكون أبا لأطفال يحتاجون الى الارشاد المختلف باختلاف أمزجتهم .

كل من هؤلاء يتعلم وينال شهادة تدل على صلاحيته لأن يكون أهلا لعمل من الاعمال ولكن العمل المشترك بينهم جميعا وهو عمل الأبوة البرة فلا يعلم أحدهم شيئا عنه .

كذلك البنات يتعلمن ما يصلح الواحدة منهن لأن تكون ربة بيت ومدبرة بارعة لمنزل واما تحسن العناية بصحة طفلها أى بجسمه وتحسن مساعدته ولو فى المراحل الأولى من الدراسة أى تحسن العناية بعقله أما روحه وأما نفسيته وشخصيته فإنها لاتستطيع إلا أن تلقى عليها شيئا من ظل شخصيتها هى .

أما علاج الروح والنفس والشخصية إن بدا على إحداهما عرض من أعراض الشذوذ وأما العناية بها عناية صحيحة غير ضارة فهذا ما لاتتعلمه البنت .

يجب إذن أن يعمد رجال التعليم إلى تقرير دراسة علم النفس سنين متتابعة للبنت والولد على أن يكون حظ البنت منه أوفر .

ويتبع ذلك أو يسبقه جمع سهل النظريات فى هذا العلم وتبسيط لغته ثم التدرج إلى ما هو أصعب ووضع ذلك فى كتب مسلسلة كما وضع التاريخ والجغرافيا وغيرهما من العلوم فى كتب سهلة تناسب مراحل الدراسة وأن يطلق على هذا كله علم الأمومة وعلم الأبوة .

قدمت هذا لأن الأطفال تاج الأسرة وثمرة الزوجية وكان الترتيب الطبيعى أن أتحدث أولا عن الزوجية التى تنتج الأطفال ولكن أهمية تنشيء الأطفال والعناية بهم وهى أهم ما فى الزوجية جعلتنى أقدم الكلام عن علم الأمومة وعلم الأبوة على علم الزوجية وهو ختام هذه الكلمة .

يتعلم الولد وتتعلم البنت وبرامج تعليم الولد والبنت تعد الولد للكفاح فى الحياة وتعد البنت لإدارة البيت ولكن المدارس لاتعد أحدهما لما يشترك فيه الأولاد جميعا والبنات جميعا ينفرد كل ولد بمستقبله عن زميله هذا يصبح محاميا وذلك طبيبا أو تاجرا أو صانعا أو زارعا ولكنهم جميعا يتحدون فى أنهم يصبحون أزواجا وآباء وتصبح البنات زوجات وأمهات .

اذا تعلم الولد ونال أجازته وأقبل على عمله الذى يكسب منه ايراده أو بالتعبير القديم رزقه فما كل ذلك الا لكى يصبح اهلا لأن يتزوج ويكون لنفسه أسرة . أليس غريبا إذن أن تعد الولد اعدادا كاملا لأن يكسب الايراد الذى يساعده على الزواج وتكوين الأسرة ولا تعلمه شيئا عن الزوجية وعن الاسر .

لو أن غاية الحياة أن يكسب الولد وأن ينفق كسبه كما يتفق لكانت برامج التعليم برامج سليمة لايمكن أن يوجه اليها النقد . ليست تعين الولد على أن يصبح رجلا ذا إيراد ينفقه ؟

ولكن غاية الحياة ليست كسب المال إنما كسب المال وسيلة لإنشاء أسرة سعيدة .

لهذا أرى أن برامج التعليم اليوم وهى تتجه بكل قوتها الى اعداد النشء للكسب بينما لاتوجه لفتة واحدة الى الغاية وهى انشاء الأسرة أرى أن ببرامج التعليم نقصا يكاد فى نظرى يشبه الأمية .

نعم هى أمية تلك الحالة التى يواجه بها الشاب مشكلة الزواج ومشاكل مابعدالزواج .

هو طبيب أو عالم اقتصادى أو قانونى أو غير ذلك ولكنه يجهل كل شىء عن طبيعة المرأة وعن سياسة المرأة بعد أن تصبح زوجة .

ولا أدل على أميته فى هذه الناحية من أنه يستوى هو والأمى أمام هذه المشكلة ومايثيرها من مشاكل، الامى يواجه مشاكل الزوجية بعواطفه والمثقف يواجهها بعواطفه .

لم يدرس العالم المثقف شيئا عن طبيعة المرأة ولا عن مشاكل الزوجية فى المدرسة فهو إذا نجح فى حياته الزوجيه فالفضل فى ذلك للصدفة واذا فشل فالسبب فى فشله جهله بمشاكل الزواج لأنه لم يتعلم شيئا منها فيما تعلم ولم يسهر ليلة لدراسة شىء منها كما سهر الليالى لمراجعة أسباب فشل هذا الفائد أو سر نجاح ذاك .

أليس عجيبا أن يتعلم الشاب مايعينه على كسب المال الذى يؤهله لانشاء الاسرة ثم لايتعلم شيئا إطلاقا عن سياسة تلك الاسرة أو مجابهة مشاكلها .

علم النفس خليق بأن يرشد الشاب الى مايصلح لزوجته أن وجدها غاضبة عابسة وعلم النفس فيه مايرشد الفتاة الى كسب رضاء زوجها .

وعلم النفس فيه حل لألف (زوبعة فى فنجان) مما ينشب فى البيوت خصوصا بيوت الزوجية الحديثة فهو يجعل كلا من الزوج والزوجة أوسع صدرا والين عريكة إذا نشب خلاف على أتفه الأمور فبدل أن يعد الرجل كل خلاف بينه وبين زوجته مسألة كرامة وبدل أن تعد الزوجة كل إغضاء من الزوج انقضاء لعهد حبه يستطيع كل منهما أن يجد فى علم النفس الذى درسه تفسيرا لأمر يجر على من لم يتعلمه متاعب الخلاف وتوتر العلاقات

لست أقصد بالخلاف ذلك الذى يصل الى المحاكم الشرعية والمجالس المحلية و إن كان الكثير منه من السهل التخلص منه لو أن الزوج والزوجة درسا فى المدرسة من علم النفس ما يتصل بالمزاج والطبع .

ولكنى أقصد تلك الزوابع الصغيرة القصيرة التى تثور لأتفه الأسباب أو لغير سبب ثم تنقضى بكلمة غير مقصودة أو بابتسامة عابرة تلك الغيوم التى تنغص الحياة الزوجية بغير سبب .

أعتقد أن هـذا يكفى لأن يفكر المشرفون على التعليم لأن يستخلصوا من كتب علم النفس ما يصلح لعلاج مشاكل الزوجية الباكرة خاصة وأن يضعوا ما يستخلصون فى كتب تدرس ولو حصة فى الأسبوع حتى يعدوا الشاب للزوجية كما يعدونه للكفاح فى الحياة وحتى يعدوا البنت لمشاكل الزوجية كما يعدونها لادارة البيت وتدبير شئونه .

أما أن تبقى برامج التعليم قاصرة على إعداد الشباب والفتيات للمادى من الحياة فذلك خليق بعالم لا زواج فيه ولا زوجية أو خليق بعالم الزواج فيه خلو من الخلاف بين الزوج وزوجه كأنما فرض أن ليس بينهما خلاف فى الرأى أو الذوق أو الطبع .

أما والزوجيـة تنتظر كل شاب وكل فتاة والخلاف على التافه وغير التافه من الأمور تنتظر كل زوجين فان خلو برامج التعليم مما يعد الشاب والفتاة للزوجية وخلافاتها نقص لا يغتفر وجوده .

عريان يوسف سعد

" ومن آياته أنْ خلقَ لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليهـا ، وجعل بينكم مودةً ورحمة ، إنّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " .

" قرآن كريم "